قمر الصباحات المنحرة

لي صباحاتي أذا ما احترقت ضوء فتيلا
وصباحاتي أذا أحتقرت في مقبض البابِ ،
لتستجدي العويلا
وصباحاتي أذا ما انتحرت عاما قصيرا أو طويلا .
معتما كان مداري ،
غرقت كل نجومي في سماء باهته
ألف عام أغبر ، تطوي ليالي عصور ميته
قمري الناحل ما نام ليالي الموتِ ،
ما نام ليالي الزوبعه
طالما سال حليبا في الخيامِ
كورته امسيات الجوع أطباق طعامِ
وسريرا ناصعا تفرشه أنقاض تاريخي ،
وأشلاء عظامي
في سماوات انكساري واحتقاري
قمري كان صعودي وانهياري
حارسي الليليّ في صيف المنافي والسجون
شدّه الجلاد جرجا ساطعا فوق الجبين
من مدار مغلق حول مدارِ
لمدار مغلق حول مدارِ
قمري كان هواي الساهر العينِ ،
على بؤسي حنيني
وعلى طول انتظاري
فارسا منطفئا بين جدارِ وجدارِ

* * *

قمري الناحل مطروح على باب الظلامِ
طائرا في طائر الرعب المدمّى
عائدا من سفر الدهرِ ،
ومن منفى الخيامِ
عابرا ألف مدار ومدارِ :
عبر الصيف الذي ينسلّ ،
من أفق محمّى
وشتاء ناحلا ينحلّ اوجاعا وحمّى
وخريفا طاعنا يمطر عتمات ودها .
عابرا ألف جدار وجدارِ :
عبر النهر الذي ينساب في موت بطيءِ
عبر النهر ، ليحيا النهر في الموج الوضيءِ
وهج يسطع حتى القلب في كهف وطيءِ
وهج يطلع من جرح الى ليل صديءِ

* * *

قمري يطلع من كل جدار وجدارِ
عابرا ألف مدار ومدارِ
وأنا من وجهه ، أفرش باحات لعيني ،
وباحات لداري
وأنا أوصد للعالم أبواب الظلامِ
وأنا أسند للعالم أنقاض الايامِ
وأنا أبدأ للعالم أحلام النهارِ

الخرطوم

عبد الرحمن عبد الله

ذلك لم يقنع بان يكون حامل مثل وحسب ، بل كان مثقفا على الطريقة الاسلامية الحقة (على المؤمن ان يزيل الباطل بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، وان لم يستطع فبقلبه ، وذلك اضعف الايمان) فليس بعجيب بعد هذا ان يشتد اعجابه بالامام علي لانه يرى فيه تحقيقا لقوله :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو اول وهي المحل الثاني
فاذا هما اجتمعا لنفس حرة بلغت من العلياء كل مكان

وهكذا نجد المتنبي يخالف غيره من الناس في مسألة أساسية : ان الرؤى وعالم الواقع يمتزجان في نفسه ويتشابكان بحيث يعجز عن التمييز بين الحقيقة والخيال . بين ماهو كائن وما يجب ان يكون ، بين صلابة العالم المادي الذي يعيشه وبين دنيا المشاعر الشفافة التي يحسها دون ان يلمسها . كان يحلم دائما بالنفوس الحلوة التي تشغف فؤاده فلماذا لايجدها بين الناس ؟ ذلك هو سر مبالغاته المشهورة في الافتخار بنفسه ، والتمدح بشمائل زعماء زمانه . ولم تكتف عيناه برؤية دنيا الواقع وحده وانما امتدت رؤياه الى عالم المستقبل الجميل حين سيتعلم الناس الا يفصلوا بين القول والفعل ، بين المثل الاعلى وتحقيقه . لقد كان يضنيه ان يرى العامية والبشاعة والصغار والشراهة واللؤم والخسة هي المظاهر السائدة المتغلبة على حياة اغلب الناس ،وكان يتصور انه يستطيع اذا حكم ولاية او ولايات ، ان يغير هذا الواقع المر ويبدله الى عالم جديد نبيل مثالي ـ ربما على طريقة افلاطون في جمهوريته الفاضلة . وكان يرى انه اجدر الناس بتحقيق ذلك الهدف لشجاعته وعفته وابائه وترفعه عن الدنايا والصغائر .

وفي سورة الحماس والاندفاع الصادرين عن قلب فنان طفل ،غفل عن مسألة أساسية ، اذ نسي ان الفابليات والمواهب على اصناف، وان من كان ميدان بطولته الشعر والفن ، يعجز ان يقفز على حبال السياسة، لاسيما في تلك الاوضاع الفاسدة التي عاصرها .

لقد كان شعر المتنبي ملحمة رائعة قدمت اصفى صورة للانسان حين يريد ، وحين يختار ، وحين يعرف السبيل السوي الذي ينبغي له ان يجتازه فيمضي فيه بعزيمة تهد الجبال . وكان يسعى الى المجد فحصل عليه ، ودخل اسمه في سجل الخلود . وما كان اصدقه حين قال :

وما الدهر الا من رواة قصائدي اذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا

بغداد

احسان الملائكة